مجلة الرائد

العدد : ١٨٨ الموافق في ذو القعدة ١٤١٧ هجري ٤ / ١٩٩٧ ميلادي

من أخبار المسلمين في أوروبا : (لبنى) طفلة لم تتجاوز التاسعة من عمرها	بقلم : أسرة التحرير

طفلة لم تتجاوز التاسعة من عمرها ، غادرت منزل أبويها في مدينة بروكسل يوم ٥/آب/١٩٩٢ ؛ لتأتي لأمها بعلبة من اللبن من البائع الذي يبعد عدة أمتار ، ولكنها لم تعد إلى اليوم...

انتظرت العائلة طويلاً ، وانتظرت... وانتظرت... ، مرت السنون... ولبنى مفقودة...

سعى الوالد بما لديه من معرفة للعثور على بنيته الحبيبة ، ولكنها بقيت مفقودة...

في الصيف الماضي هزت بلجيكا أحداث وفضائح أخلاقية... لقد تم العثور على طفلتين كاد الجوع يقتلهما ، لا فقراً ولكن وحشية ؛ اختطفهما " مارك دي ترو " وحبسهما ليموتا جوعاً ، إنه الوحش الذي أتقن اختطاف الأطفال والاعتداء عليهم جنسياً ، ثم قتلهم بكل برودة دم وربما تلذذ...

لا ، لبنى لم تكن إحدى البنتين اللتين تم العثور عليهما ، بل بقيت مفقودة... ولكن كان هذا الأمر فرصة للتعريف بهذه المأساة ، وصار اسم لبنى ، وجيلي ، وميليسا ، و... - القائمة تتجاوز الثلاثين - على لسان الكبير والصغير ، والمسلم وغير المسلم ، ورجل السياسة والمربي وكل القاطنين في بلجيكا ، صارت حديث الساعة في البرلمان والحكومة والشارع...

تكاتفت العائلات المنكوبة على المصاب الواحد ، اجتمعت على اختلاف الثقافة واللغة والدين... وقامت بكل الضغوطات الممكنة ، ووجدت المساندة الشعبية العارمة. طُعن في كفاءة أجهزة مكافحة الجريمة البلجيكية ، بل اتهمت ، واجتهدت الصحف في تقديم الأدلة على ذلك... وشكلت لجنة تحقيق برلمانية لا تزال أشغالها مستمرة حتى اليوم.

وفي فجر يوم ١٩٩٧/٢/٦ يتلقى أبو لبنى خبر العثور على ابنته الغائبة ، ولكنها كانت رفات جثة... واستيقظت بلجيكا على عاصفة جديدة من السخط والتنديد ، وإليك أيها القارئ أسباب ذلك :

تم العثور على لبنى على بعد أمتار من منزل أبويها ، في علبة حديدية ، في الطابق السفلي لمحطة " بنزين " ، لم تسقط لبنى في هذه العلبة ، ولكنها اختطفت وقتلت ، والله أعلم ماذا صنع بها قبل قتلها... قال أحد الأطباء الذين عاينوا الجثة : قد تكون ماتت عطشاً وجوعاً...

في يوم اختطافها بالذات حضرت الشرطة إلى نفس المكان ، وحققت مع العامل في هذه المحطة ؛ لأنه من أصحاب السوابق ، وسبق له أن اعتدى جنسياً على بعض الأطفال منذ سنوات خلت ، ولكن الأمر توقف عند حدود الاستجواب. في نفس اليوم كذلك أدلت سيدة بلجيكية تقطن أمام مكان الحادث

بشهادة مفادها أنها سمعت صراخ ولد أو بنت في الساعة التي تم فيها الاختطاف ، وأتى هذا الصراخ من داخل المحطة ، ومرة أخرى توقف الأمر عند الإدلاء بالشهادة ، بل بقيت لبنى مفقودة والقاتل حيّاً يرزق ، قريباً من منزل أبويها ، وأغلق الملف...

وفي مطلع هذه السنة ، وبعد أحداث الصيف الماضية ، تم تعيين لجنة تحقيق جديدة للتحقيق في فقدان لبنى ، بعض أعضائها ممن تنقصهم الخبرة في عملهم ، وانطلقوا من نفس المعلومات التي كانت لدى الفرقة الأولى... فكانت النتيجة: العثور على لبنى مقتولة في وقت قصير جداً ، واعتراف " دو روشات " باختطافها وقتلها... وما " دو روشات " هذا إلا ابن صاحب المحطة ، والعامل الفني فيها.

نأتي إلى التأثير المباشر لهذه الحادثة على الجالية المسلمة في بلجيكا ، ففي يوم السبت ١٩٩٧/٢/٨ تم تشييع جثمان الفقيدة إلى مطار بروكسل ، باتجاه مدينة طنجة في المغرب ، ولقد أقيم موكب التأبين في مسجد المركز الإسلامي في بروكسل. كان موكباً ضخماً ، حضره ما يقارب العشرين ألفاً من المسلمين وغيرهم... حضره أيضاً ممثل ملك بلجيكا ، ووزير العدل ، وممثل عن البرلمان... وسالت دموع المسلم وغير المسلم ، ووقف الجميع صفاً واحداً وجنباً إلى جنب ، بعد صلاة الجنازة التي نقلتها المحطات البلجيكية كلها... وألقيت كلمات التأبين...

قالت إحدى الأمهات - التي فجعت بابنتها كذلك - مخاطبة لبنى الفقيدة : « لقد عرفتيني بجاليتك وعلمتيني كيف احترامها بعد ما كنت أخافها... » ، وتلقت أسرة الفقيدة التعازي والمواساة بشتى الطرق ؛ بالزيارة المباشرة وبالهاتف وبالرسالة... وغص محيط البيت بالورود ، ولا تزال حتى خطِ هذه الكلمات تتجدد وروده... استمر " التلفزيون " في التعليق على موكب التأبين ما يزيد عن الساعتين ، وكان المعلق الرئيسي رئيس المجلس الأعلى للمسلمين في بلجيكا في إحدى المحطات ، وقد أثير موضوع غياب المقابر الإسلامية في بلجيكا ، وكذلك حقوق الطائفة الإسلامية عامة...

وكان ذلك أيضاً مناسبة لإعادة فتح موضوع الاعتراف بالإسلام في بلجيكا ، الذي تم في سنة ١٩٨٤ ، ولكن تطبيقات ذلك بقيت محدودة جداً.

لقد طالبت الجالية المسلمة في فرص عديدة بإعادة فتح هذا الملف وبأكثر من طريق ، ولكن تجاوب الحكومة كان محدوداً جداً. وفي هذه المرة قام الرأي العام البلجيكي من تلقاء نفسه بإعادة الموضوع إلى مائدة البحث ، وتوج ذلك بدعوة الملك لرئيس الهيئة التنفيذية لمسلمي بلجيكا - وهي الهيئة الرسمية التي تتولى تنظيم شؤون الدين الإسلامي في بلجيكا - للتحادث معه.

لقد شعر الجميع بإعادة الاعتبار للجالية المسلمة في بلجيكا ، إلا أنه لا بد من تلقي ذلك بشيء من الحذر مع التفاؤل. ويبقى من واجب الجالية المسلمة وممثليها أن تستفيد من الظرف وتغيّر المواقف وتوظفها لفائدتها وللعمل على أخذ حقوقها كما هو الحال بالنسبة للطوائف الدينية الأخرى.